

آراء محمود درويش النقدية من خلال شعره Mahmoud Darwish's Critical Opinions through his Poetry.

سلطان عيسى سنين الشاعر (1)

Sultan Isa Sinin Al-Shaar (1)

[10.15849/ZJJHSS.231130.09](https://doi.org/10.15849/ZJJHSS.231130.09)

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم مقاربة نقدية تجمع من خلالها الآراء النقدية التي ضمّنها درويش شعره؛ بغية مراجعتها وتحليلها ونقدها. وقد جاءت الدراسة بمحورين:

- الإطار النظري: (الشاعر العربي: ناقدًا). وحاولت أن أعرج على أبرز الشعراء الذين انمازوا بمراس النقد الأدبي قديمًا وحديثًا سواء في شعرهم أو في كتب نقدية مستقلة.
- الإجراء التطبيقي: (درويش وآراؤه النقدية: جمع ودراسة). واشتمل على الآتي: حدّ اللغة (الشعر)، وفي حقيقة الشاعر، والمرتكزات الشعرية، والحدائث الشعرية وقصيدة النثر، وقضية اللفظ والمعنى، والإيقاع. وتوصلت الدراسة إلى أنّ محمود درويش قدّم في شعره آراءً نقديةً في غاية من الخطورة والأهمية. وقد كان لدرويش آراؤه النقدية الخاصة، التي تأتلف مع الآراء النقدية القارة تارةً، وتختلف معها أخرى. وعبر عنها بطريقتين، أولاهما: في ثنايا قصائد عامّة لم يكن النقد موضوعها الرئيس، وثانيهما، في قصائد خاصة كتبها درويش يعبر خلالها عن رأيه النقديّ إزاء قضية معيّنة.

الكلمات المفتاحية: محمود درويش، الشاعر ناقدًا، قصيدة النثر، الشعر العربي المعاصر، النقد والمعنى.

Abstract

This study aims to present a critical approach by which all the critical opinions that Mahmoud Darwish included in his poetry are collected to be revised, analyzed, and criticized. The study consisted of two aspects: The theoretical framework: (The Arabic poet: as a critic) in which the writer attempted to swing by the most distinguished poets in ancient and modern literary criticism whether in their poetry or independent critical books. The applied procedure (Mahmoud Darwish and his critical opinions: collection and study) The study concluded that Mahmoud Darwish presented serious and crucial critical opinions in his poetry that requires studying and paying more attention. Mahmoud Darwish had his own critical opinions which combined with other opinions once and differ with them once again. He expressed them in two ways

Keywords: Mahmoud Darwish, the poet as critic, Prose Poem, Contemporary Arabic poetry, Criticism and Meaning

(1)Ministry of Education, Supervision Department,
Supervision Department, Modern Poetry

*Corresponding author: sultan_2100@yahoo.com

Received: 22/07/2023

Accepted: 18/10/2023

(1) وزارة التربية والتعليم، قسم الإشراف، قسم الإشراف،
الشعر الحديث

*للمراسلة: sultan_2100@yahoo.com

تاريخ استلام البحث: 2023/07/22

تاريخ قبول البحث: 2023/10/18

المقدمة

تجيء هذه الدراسة الآنية ابتغاء جمع أبرز آراء محمود درويش⁽¹⁾ النقدية، وإرجاع النظر فيها، ومناقشتها، ودراستها. وتتخذ الدراسة من شعر محمود درويش أنموذجاً تطبيقياً لها، في محاولة منها لإناخة مطايا البحث عند العديد من تلك الآراء التي تدور رحاها حول: حدّ اللغة والشعر، ومركزات الشعرية، وحقيقة الشاعر، وقضية اللفظ والمعنى، ومسائل الوزن والقافية والإيقاع.

وتحاول الدراسة أن تجيب عن أسئلة رئيسة تتناسل من سؤالها الرئيس وهو كيف تبدى درويش ناقدًا في

شعره؟، ولعل أبرزها:

- كيف يمكن للشاعر أن يكون ناقدًا في شعره؟
- ما أبرز الآراء التي قدمها درويش في شعره؟
- كيف مثلت آراء درويش النقدية في متن قصيدته الشعرية؟
- هل تتقاطع آراء درويش مع آراء النقاد أم أنها تخالفها؟

وقد تتبعت الدراسة آراء درويش النقدية المتناثرة في شعره، وجمعتها، وصنفتها، ومحاولة مناقشتها مناقشة علمية، عرضت من خلالها للآراء النقدية المشهورة، وبينت موقف درويش منها، اختلافاً أو ائتملاً. ولا ريب أن هذه الدراسة تأخذ أهميتها من أن آراء درويش التي قد ضمنها شعره تستحق الجمع والدّرس؛ لثلاثة أمور، أولها: وهو ما تمتاز به من جدّة وابتكار ومخالفة للمألوف من القول النقدي القارّ. وثانيها: أنها لم تحظّ بما تستحقه من عناية وبحثّ من لدنّ النقاد والباحثين الذين أعملوا معاولهم النقدية في شعر درويش، فكان محمود درويش الشاعر لا الناقد، مناط دراستهم، وبحوثهم. وثالثها: أن تجربة درويش النقدية منمارة من غيرها من التجارب بأنها قد برزت خلال شعره، وليست في كتب نقدية منفصلة ومستقلة، كما هو الحال عند غيره من الشعراء، فدرويش لمّا ينفكّ يقدم آراءه النقدية في ثنايا قصائده، وهذا كله مما جعل تجربته تجربةً فريدةً ونادرةً؛ تستلزم الدراسة، وتستدعي الانتباه. وقد أشار غير ناقدٍ إلى القيمة الخطيرة لنقد الشعراء، ومن أبرزهم الشاعر والناقد الإنجليزي ت. س. إليوت، فقد عدّ نقد الشاعر الناقد الحقيقيّ؛ إذ إنّه ينتقد الشعر من أجل خلقه، ويحاول، على نحوٍ محدّد، أن يدافع عن الشعر الذي يكتبه⁽²⁾.

ولا شك أن الشاعر بفعل اشتباكه مع عوالم القصيد والشعر يظل يتقدم طليعة المؤهلين للقيام بالتنظير لقضايا النقد الشعري، فنقد الشاعر يمثل -والحال هذه- مجتلى معرفياً يمكن الجوس خلاله أجل استخلاص عصارة تجربته الشعرية، بعد أن احترق الشاعر بنار الشعر، وخبرها، وانكوى بها، ويضاف إلى ذلك أن ثمة قضايا غامضة وملتبسة في الإبداع لا يستطيع التعبير عنها بدقة إلا الشاعر نفسه، في لحظة الخلق والمكاشفة، كما هو الحال في تفسير عملية الإبداع وتحديد ماهيته وبواعثه، وما يعترى الذات الشاعرة من تحولات نفسية ووجودية أثناء عملية الخلق⁽²⁾.

(1) ولد محمود درويش في فلسطين عام 1941م، وقد كتب عددًا كبيرًا من الدواوين الشعرية، ابتدأت بديوانه الموسوم بـ(عصافير بلا أجنحة) (1960م)، واختتمت بديوانه الموسوم بـ(لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي) (2009م). وقمينة الإشارة إلى أن شعر درويش أسال حبر غير قليل من النقاد والباحثين؛ فصدرت عن شعره غير قليل من الكتب والدراسات والأبحاث والأوراق النقدية على امتداد الوطن العربيّ الكبير.

(2) الفتياي، سهيل عبد اللطيف: هوية الإبداع الشعري عند محمود درويش، بين الإلهام والمهارة، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية

ولا فكاك من الإشارة إلى أن إشكالية الشاعر الناقد في الشعر العربي القديم والحديث قد كانت مدار البحث في غير قليل من الدراسات والكتب والأطاريح الجامعية، ولعل من أبرزها:

1. عبد الله العشي: نظرية الشعر عند الشعراء المعاصرين⁽¹⁾.
2. سهيل الفتياي: محمود درويش: غواية النقد⁽²⁾.
3. علي حداد: الخطاب الآخر (مقاربة لأبجدية الشاعر الناقد)⁽³⁾.
4. فاتح علاق: مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر⁽⁴⁾.

وقد أشارت دراسات إلى المنزع النقدي الذي ينزع عنه محمود درويش في شعره، بيد أنها لم تستوفِ حقّ الظاهرة من الدرس والبحث، ولعل أبرز هذه الدراسات دراسة حسين تروش الموسومة بـ"مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش" الصادرة في طبعها الأولى عن مركز الكتاب الأكاديمي في عمّان عام 2016م، وقد قدم فيها صاحبها جهداً كبيراً مقدّراً، مقسماً إياها إلى مقدمة وفصولٍ أربعة. وجاءت فصول الدراسة كما يأتي:

- ثيمة الشعر المهيمنة مفهومها وتطورها.
 - وظيفة الشعر بين النفعية والجمالية وأهمية القارئ.
 - التجليات الأجناسية لثيمة الشعر وأهميتها الموضوعاتية.
 - التجليات النصية والإيقاعية لثيمة الشعر وأهميتها الموضوعاتية.
- ودراسة سهيل الفتياي الموسومة: محمود درويش: غواية النقد، والصادر عن دار ابن الجوزي عام 2022⁽⁵⁾.
- وجاءت فصول الدراسة كما يأتي:
 - إشكالية الواقعية والالتزام.
 - جدليات الإلهام والمهارة.
 - عذابات اللغة.
 - بنية القصيدة النثرية.
 - الذات وتجليات الحضور والغياب.

ويؤخذ على هاتين الدراستين أنهما ركّزتا على مفهوم اللغة والشعر والقصيدة النثرية في شعر درويش حسب، واقفتان وقفّة المتعجل عند قضايا الإيقاع وثنائية اللفظ والمعنى في شعره دون استيفاء لحقوق هذه القضايا من البحث والدرس؛ فكان ذلك مدعاة إلى أن تأتي هذه الدراسة فتستوفي ما نقص من الدرس.

والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد (44)، العدد (1)، ص: 219.

(1) الفتياي، سهيل عبد اللطيف: محمود درويش: غواية النقد، دار ابن الجوزي، عمان، الأردن، ط1، 2022.

(2) العشي، عبد الله: نظرية الشعر عند الشعراء المعاصرين، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1992م.

(3) حداد، علي: الخطاب الآخر (مقاربة لأبجدية الشاعر الناقد)، منشورات الاتحاد العام للكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.

(4) علاق، فاتح: مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2005م.

(5) العشي، عبد الله: نظرية الشعر عند الشعراء المعاصرين، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1992م.

(1-1) الإطار النظري: (الشاعر العربي ناقدًا)

يتوقف هذا الجزء من الدراسة عند ظاهرة برزت عند عددٍ من الشعراء العرب الذين مارسوا نقد أشعارهم⁽¹⁾، وهم غير قليل عند إنعام النظر في الثقافة العربية. وكثير من الشعراء قد مارسوا نقد الشعر وقوله بصورة ينقطع فيها الشعر عن النثر، من مثل النابغة الذبياني والفرزدق وابن الرومي وأبي العلاء المعري ونازك الملائكة وعلي جعفر العلق وعز الدين المناصرة وغازي القصبي وخالد الكركي... إلخ. وقمينة الإشارة إلى أن الروح الشعرية لدى أولئك النقاد قد تجلت تجليًا بارزًا خلال منجزاتهم النقدية مضمونًا ولغة وفكرًا⁽²⁾، إذ يبرز ذلك في عناوين كتبهم ودراساتهم النقدية بادئ الأمر، على أنه لا ينتهي بلغتهم الموحية الدالة.

وقد جاءت العناوين الآنف الذكر مصوغة صياغة شعرية، من خلال بنائها بناءً رمزيًا إيحائيًا، يمتاز بتحليقه باللغة في مدارات الإبداع والتخييل. وتجدر الإشارة إلى أن حبيب الزبيدي -مثلًا- قدم في طيات شعره آراء نقدية تختص بماهية الشعر ومفهومه، وموقفه النقدي من الشعر والنقد. ومن ذلك قوله⁽²⁾:

"لكنني حين أوي لكهفك أيها الشعرُ

يا أيها الكاهن الوثني العتيق..."

وقوله:

"والشعر كالسيف في كفي فينقسمُ

ألمه باستعاراتي وأجمعه"

وقوله:

"اقرأ قصيدي لا تكن كمعلم النقد الحديث

يغامز الطلاب وهو يدلهم في الدرس عن ثغرات شعري"

وينبغي لنا أن نسجل أن هذه الآراء لم تكن مدار اهتمام الباحثين في شعره. وإن دراسة جاسر "أبو صافية" الموسومة بـ(ابن الرومي ناقدًا)⁽³⁾ التي خصصها للحديث عن الآراء النقدية التي ضمنتها شعر ابن الرومي قد أحازت صاحبها قسبة السبق، حين التفت الدراسة إلى هذه الظاهرة في شعر ابن الرومي خصوصًا، وفي الشعر العربي عمومًا، ولم تلق هذه الآراء من يشمر عن ساعديه، ويقوم بجمعها ودرسها، وقد قسم أبو صافية دراسته إلى تمهيد، وتوطئة، وقسمين كبيرين:

القسم الأول: المصطلحات الشعرية. وقد ضمّ: القصائد، سائر المصطلحات الشعرية، القوافي.

القسم الثاني: مصطلحات العروض والقافية.

وقد توقف أبو صافية عند موقف ابن الرومي خلال شعره من نقاد شعره، ونقده للشعراء، والمصطلحات الشعرية والقصائد العوارم، والقوارص، والدرية، والمحكمات، والقصيدة البكر، والهتر، ومصطلحات العروض والقافية، والإقواء والإكفاء... إلخ

(1) لا يتعرض هذا الجزء من الدراسة الراهنة إلى الشعراء أو النقاد الذين لهم دواوين شعرية وكتب نقدية منفصلة.

(2) الزبيدي، حبيب: الأعمال الشعرية الكاملة (راهب العالوك)، قدم لها واعتنى بنشرها: عمر القيام، عمان، الأردن، 2015م، ص: 40 وما بعدها.

(3) أبو صافية، جاسر خلي: ابن الرومي ناقدًا، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، ودار فضاءات، عمان، الأردن، ط2، 2013م.

(2-2) الإجراء التطبيقي:

(محمود درويش وآراؤه النقدية: جمع ومراجعة وتفكيك)

تكشف قصائد درويش عن ذات ناقدة، وبصيرة بقضايا النقد الأدبي. ففي شعر درويش جمهرة من الآراء التي نجد فيها النقاء واختلافًا مع آراء النقاد العرب القارة. وتنشعب هذه الآراء في محاور كبرى، هي:

(1) حدّ اللغة (الشعر):

يحاول درويش في قصيدة (طوق الحمامة الدمشقي) أن يفترع مفهومًا جديدًا للغة⁽¹⁾، حين يجعلها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمكان. يقول درويش في قصيدة (طوق الحمامة الدمشقي)⁽²⁾:

"في دَمَشَقْ،

أرى لُغَتِي كُلَّهَا

على حَبَّةِ القَمَحِ مكتوبةً

بإبرة أنثى،

يُنَقِّحُهَا حَجَلُ الرَّافِدِينَ"

إنّ الشاعر في قصيدته هذه يحاول أن يتجاوز التعريف الوظيفي للغة، الذي سكه ابن جني، وصار دُولَةً بين اللغويين والنقاد، ذلك أن تعريف ابن جني يحدد وظيفة اللغة بالوظيفة التواصلية الاجتماعية وحسب، يقول ابن جني: "اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". ويحاول درويش في قصيدة (نهار الثلاثاء والجو صافٍ) أن يخترع حدًا جديدًا للغة بقوله⁽³⁾:

"لَسْتُ فَنِيًّا لأحمل نفسي

على الكلمات، ولست فَنِيًّا

لأكمل هذي القصيدة

أمشي مع الضاد في الليل

-تلك خصوصيتي اللغوية- أمشي

مع الليل في الضاد كهلاً يحدث

حصانًا عجوزًا على الطيران إلى برج

إيفل. يا لغتي ساعديني على الاقتباس

لأحتضن الكون. في داخلي شُرْفَةٌ لا

يَمُرُّ بها أحدٌ للتحية. في خارجي عالم

لا يردُّ التحية. يا لغتي! هل أكون

(1) للاستزادة الاطلاع: الدوسري، دوش بنت فلاح، قيمة الشعر ودور الشاعر في رؤية محمود درويش الشعرية: دراسة موضوعاتية. المجلة

العربية للعلوم الإنسانية، مج40، ع160، 2022م، ص127-168.

(2) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، بريطانيا، ط1، 2009م، ج2، ص:134.

(3) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:274-275.

أنا ما تكونين؟ أم أنت -يا لغتي-

ما أكون؟ ويا لغتي دريبي على

الاندماج الزفافي بين حروف الهجاء

وأعضاء جسمي - أكن سيدا لا صدى"

إن الشاعر في هذه القصيدة يجعل من اللغة مُعادلاً موضوعياً لـ(الأنا)، بوصف اللغة انعكاساً له. ويجعل أيضاً اللغة تجلياً لـ(لأنا) في قصيدة (قافية من أجل المعلقات)، بقول درويش⁽¹⁾:
"من أنا؟ هذا

سؤال الآخرين ولا جواب له. أنا لغتي أنا

وأنا معلقة... معلقتان... عشر، هذه لغتي

أنا لغتي"

إن اللغة (الشعر) رضيعاً لبانٍ لا تتفصم عُرى روابطهم المتينة "فوجود اللغة/الشعر متعلق بوجود الإنسان، والإنسان يدين للغة بوجوده، وتكامل هذه الأطراف هو ما يوصل إلى تحقيق الكينونية الكبرى لمفهوم الوجود"⁽²⁾. ويقول درويش: "باللغة انتصرت على الهوية" فاللغة (الشعر) تمثل هوية الشاعر، واللغة (الشعر) هي الأداة التي ينتصر بها الشاعر على الغياب، الذي يحاول الآخر فرضه على الإنسان. ويؤكد درويش هذا الرأي النقدي في قصيدته (بيت القصيد)، يقول⁽³⁾:

"الشعر... ما هو؟ هو الكلام الذي نقول

حين نسمعه أو نقرأه: هذا شعر!

ولا نحتاج إلى برهان..."

ويُعرف درويش الشعر بالتجربة والمنفى، يقول في قصيدة (أتذكر السيّاب)⁽⁴⁾:

"أتذكر السيّاب... إنَّ الشعرَ تجربةٌ ومنفى،

توأمان ونحن لم نحلمُّ بأكثر من

حياة كالحيّة"

إن خلاصة مفهوم الشعر لدى درويش، الشاعر في نهاية الأمر، مخلوق هلامي، وحدث غامض، وباعثٌ للحنين، يقول في قصيدة (كحادثه غامضة)⁽⁵⁾:

"قلتُ: ما الشعْرُ؟

ما الشعْرُ في آخر الأمر؟

(1) المصدر السابق، ج1، ص:382.

(2) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2016م، ص:154.

(3) المصدر السابق، ج2، ص:750.

(4) المصدر السابق، ج1، ص:126.

(5) المصدر السابق، ج1، ص:157.

قال: هو الحَدَثُ الغامضُ

الشعرُ يا صاحبي

هو ذاك الحنينُ الذي لا يُفسَّرُ

إذ يجعلُ الشيءَ طيفاً

وإذ يجعلُ الطيفَ شيئاً

ولكنه قد يُفسَّرُ

حاجتَنَا لاقتسامَ الجمالِ العُموميِّ..."

وعليه فإن القصيدة لدى درويش إلهام، وإعجاز، وخلق لا على مثال سابق، وإذا كانت كلمة حنين كلمة مركزية في سياق القصيدة السابقة، فلها ضربة لازب القول بأن مفهوم الشعر يتمظهر دائماً في شكل حنين إلى شيء تشرئب إليه أعناق الشعراء والقراء سواء كان فكرة أو فعلاً أو تجربة أو شعوراً⁽¹⁾.

والكلمة تمثل المعادل الموضوعي (للشعر)، وتغدو سلاحاً في يد الشاعر. يقول درويش في قصيدة (ضباب

على المرأة)⁽²⁾:

"لستُ جندياً كما يُطلبُ مني

فَسلاحي كلمة"

واللغة في شعر درويش لا نقل أهمية وتأثيراً عن اللغة المقدسة. يقول درويش في قصيدة (غرفة للكلام مع

النفس- تدابير شعرية)⁽³⁾:

"لم يكن للكواكب دور،

سوى أنها

علمتني القراءة:

لي لغة في السماء

وعلى الأرض لي لغة"

وعليه؛ فإنه من خلال هذا الرأي النقدي يرتفع بالقصيدة في مدارج السمو والتقدير⁽⁴⁾.

(2) (في حقيقة الشاعر):

يذهب درويش في قصيدته (شاعري/آخري) إلى أنّ الإنسان حين يكتب الشعر يفصل انفصلاً كلياً عن ذاته الحقيقية، ويكتب بواسطة (أناه الشاعرة)، المستعارة، الكاذبة، التي لا تشبه شيئاً فيه. ولعل ذلك يتجلى في عنوان القصيدة بوصفه عتبة خطابية منتجة، تفتح على غير قليل من الدلالات والمعاني، ف(شاعري) المساوي لكلمة (آخري) تؤكد على فكرة الانفصال التي يدير حولها درويش قصيدته، ويبث خلالها رأيه النقدي.

(1) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، ص: 124.

(2) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج1، ص: 281.

(3) المصدر السابق، ج1، ص: 362.

(4) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، ص: 124.

ويؤكد درويش أنّ شعْرَ الشاعر لا يمكن أن يكون تاريخياً أو سجلاً لحياته، يقول⁽¹⁾:

"تولد القصيدة في الليل من رحم الماء .

تبكي، وتحبو، وتمشي، وتركض في الحلم

زرقاء بيضاء خضراء . ثم تشب وتهرب في الفجر

يحدث هذا، وشاعرها نائم لا يحس بها

وبما حوله . لا يراها تغافله وتطير إلى

غيره .

في الصباح، يقول: كأني حلمت بها،

بالقصيدة... أين هي الآن؟

يشرب قهوته شاردًا، حاسدًا غيره

ويقول أخيرًا: هنيئًا له شاعري/ آخري!"

وعليه، فإن الشاعر يميل إلى القول النقدي الذاهب إلى أن الشاعر لا يكون شاعرًا سوى في ظلال الكتابة الشعرية. ويؤكد ذلك د. ناصر شبانة في دراسته الموسومة بـ(حقيقة الشاعر) التي يخالف فيها الناقد ناصر شبانة الرأي السائد القار بأن القصيدة التي يكتبها الإنسان في لحظة شعرية ترتبط برباط وثيق بالحياة الحقيقية التي يعيشها، ذاهبًا إلى أن الشاعر لا يكون شاعرًا سوى في اللحظة الشعرية، أي في لحظة الكتابة الشعرية وحسب، يقول الناقد شبانة: "إن شبح الشاعر لا يظهر إلا حين يتنزل ليلُ القصيدة، ويلوحُ بذُرُ الإلهام، فلا شاعرَ خارجَ القصيدة، ولا قصيدةَ خارجَ دائرة الإلهام. ونحن لا نقول: ذهب الشاعر وجاء الشاعرُ إلا مجازًا، فهو ليس شاعرًا في ذهابه، وليس شاعرًا في مجيئه، وليس شاعرًا في عمله، ولا شاعرًا في نومِه، إنه شاعرٌ فقط حين يمارسُ فعلَ الكتابة، إنه في تلك اللحظاتِ فحسبُ يغدو كائنًا أسطوريًا..."⁽²⁾. ويعيد درويش تكرر هذا الرأي النقدي في قصيدة بعنوان (الهدهد). يقول درويش⁽³⁾: "والشعرُ منفي حين نَحْلُمُ ثم ننسى حين نصحو أين كُنّا" فالإنسان عندما يكتب قصيدته فإنه يرتحل إلى منفي لا يعرف مكانه، ويعود منه إلى حياته الحقيقية عندما يختتم كتابةً القصيدة، وتنزاح عن عينيه غمائم الوحي الشعري المقدس.

ويؤكد درويش هذا الرأي في قصيدة (لا تكتب التاريخ شعراً)، ويبدو رأي درويش النقدي في ثنائية (الشعر

والتاريخ) واضحًا من عنوان القصيدة، بوصفها فاتحة أولى لقصيدته. يقول⁽⁴⁾:

"لا تكتب التاريخ شعراً، فالسلاحُ هو

المؤرّخ. والمؤرّخ لا يُصابُ برعشة

الحُمى إذا سمّى ضحاياه ولا يُصغي

(1) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:743.

(2) شبانة، ناصر يوسف: حقيقة الشاعر، مجلة أفكار الأردنية، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، الأردن، العدد (325)، 2016م، ص:30.

(3) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:150.

(4) المصدر السابق، ج1، ص:111.

إلى سرديّة الجيتار . والتاريخ يومياتُ
أسلحةٌ مُدَوّنةٌ على أجسادنا. ((إنَّ
الذكيَّ العبقريَّ هو القويَّ))".

ويكرر هذا الرأي في القصيدة ذاتها، يقول درويش⁽¹⁾:

"وليس للتاريخ

وَقُتَّ للتأمل، ليس للتاريخ مرآةً

وَوَجْهٌ سافرٌ . هو واقعٌ لا واقعيّ

أو خيالٌ لا خياليّ، فلا تكتبه.

لا تكتبه، لا تكتبه شعراً!"

ويميل درويش في قصيدته (بيت الصيد) إلى الرأي القائل بأن الشعر إلهام ملائكي أو شيطاني وصنعة في الآن عينه، إذ يقول درويش: "الشعر إلهام وصناعة وموهبة، فالموهبة لا تكفي، بالتالي يأتي دور الحرفة أو الصناعة"⁽²⁾، بيد أننا نجده يعلي من شأن الإلهام في عملية ولادة القصيدة، غير ملغٍ لدور الوعي النقدي. فمن القصائد التي تذكر ذلك قصيدة (بيت الصيد)⁽³⁾:

"حين تكون القصيدة واضحة في ذهن الشاعر،

قبل كتابتها، من السطر الأول حتى الأخير،

يصبح الشاعر ساعي بريد، والخيالُ دراجة!"

وفي قصيدة (في الرباط) يقول درويش⁽⁴⁾:

"يمشي الشاعرُ على الشارع بحثاً عن مُصادَفةِ المعنى، وعن معنى المصادفة.

يعرف النخيل جيّداً، ويسأل المارة عن

أسماء الأشجار الأخرى، حاملةِ الجَمْر، دون

أن يحصل على جواب واحد، كما لو أن

الشَّجر وجهةٌ نظر أو استعارة.

لكن المارة يسألونه عن

وجهة الاستعارة في قصيدة

ما نسي أنه كاتبها، فلا يقدّم جواباً واحداً،

كما لو أن الاستعارة شجرةٌ مجهولة الاسم.

من تحية إلى تحية، يمشي الشاعر على

(1) المصدر السابق، ج1، ص:112.

(2) بشارة، غدير: حوار مع الشاعر محمود درويش، رام الله، فلسطين، راديو ألف، 2010م. انظر الرابط الآتي:

<http://mahmouddarwish.ps/article/1396> تاريخ الدخول إلى الموقع: 2018/11/27م.

(3) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:748.

(4) المصدر السابق، ج2، ص:769.

الشارع كأنه يمشي في قصيدة غير مرئية"

إن هوية العمل الإبداعي تتأسس، في المقطوعة السابقة، على الإلهام بطبيعته الغيبية، فالشاعر في رحلة بحثه عن المعنى، يحس إحساساً طاغياً بدور المصادفة في ولادة قصيدته. ونتيجة لوقوعه في حالة من الغياب الكامل عن الواقع، يشعر بأنه يتحرك خارج دائرة الوعي الذاتي⁽¹⁾. أما في قصيدة (قل ما تشاء) فيقول درويش⁽²⁾:
 "قل ما تشاء. ضَعِ النقاطَ على الحروفِ.
 ضَعِ الحروفَ مع الحروفِ لتُؤَلِّدَ الكلماتُ،
 غامضةً وواضحةً، وابتدئَ الكلامَ.
 ضَعِ الكلامَ على المجازِ. ضَعِ المجازَ على
 الخيالِ. ضَعِ الخيالَ على تَلْفُتِهِ البعيدِ..."

وعليه فإن هذا المقطع الشعري السابق يتمحور حول الجانب الواعي في عملية الخلق الشعري (الإبداعي)، إذ تظهر بمثابة فاعلية إبداعية محوراً الذات الشاعرة⁽³⁾.

وقمينة الإشارة إلى أن محمود درويش يقدم آراءه النقدية على صورتين. فأما الأولى فتتمثل في بناء بعض قصائده للغرض النقدي، أي لإيراد آرائه النقدية شعراً، فتكون القصيدة شعراً نقدياً - إن جاز التعبير - . وأما الآخر فيكون بإيراده آراءه النقدية في ثنايا النص⁽⁴⁾، بصورة يكون فيها رأيه النقدي جزءاً أصيلاً من بناء القصيدة لديه، مرتبطاً بالقصيدة، ومنسجماً وسياقها العام. ومثاله يتجلى في قصيدة (من روميّات أبي فراس الحمداني)، يقول⁽⁵⁾:

"الصدى سلم معدني، شفافية، وندى

يعجّ بمن يصعدون إلى فجرهم... وبمن

ينزلون إلى قبرهم من تقوب المدى...

خذوني إلى لغتي معكم! قلت:

ما ينفع الناس يمكث في كلمات القصيد

وأما الطبول فتطفو على جلدنا زبدا".

وفي هذا القصيدة يستعير درويش التعبير القرآني للتعبير عن رأيه النقدي، وهو قوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

(1) الفتياي، سهيل عبد اللطيف: هوية الإبداع الشعري عند محمود درويش، بين الإلهام والمهارة، ص: 223.

(2) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج 1، ص: 99.

(3) الفتياي، سهيل عبد اللطيف: هوية الإبداع الشعري عند محمود درويش، بين الإلهام والمهارة، ص: 226.

(4) انظر للاستزادة: عبيد الله، محمد، بلاغة المنفى: تجربة في قراءة القصيدة الدرويشية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،

2021. وأبو محارب، عامر، التجريب النقدي عند الناقد محمد عبيد الله في (بلاغة المنفى)، صحيفة الدستور، 19 أيار 2023،

ص12.

(5) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج 1، ص: 370.

الأمثال⁽¹⁾). فمن خلال هذا المقطع الشعري يرى درويش أن شعر الشاعر لا الشاعر مدار رحي العملية الإبداعية الشعرية، فإما أن يخلده الدهر ذلك الشعر، وإما أن يهمله؛ وبذا نلاحظ أنه يذهب من خلال هذا الرأي إلى القول بموت المؤلف، المقولة التي بنيت على أسس منها المدرسة النقدية البنيوية. فالأهمية الكبرى عنده يجب أن يحظى بها الشعر لا كاتب النص الشعري (الشاعر). ويطلب درويش من الشاعر أن يكون مبتدعاً لا مقلداً في عالم الشعر، يقول⁽²⁾:

"إلى شاعرٍ شابٍ
لا تصدّق خلاصاتها، وانسها
وابتدي من كلامك أنت. كأنك
أول من يكتب الشعر،
أو آخر الشعراء!
إن قرأت لنا، فلكي لا تكون امتداداً
لأهوائنا،
بل لتصحيح أخطائنا في كتاب الشقاء".

وهذا الرأي النقدي يتقاطع وحدثة تاريخية نالت شهرة طبقت الآفاق في ظلال النقد الأدبي القديم، وهي أن أبا نواس استأذن أستاذه خلف الأحمر في نظم الشعر "فقال خلف له: لا أذن لك في عمل الشعر، إلا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب، ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة. فغاب عنه مدة، وحضر إليه، فقال له: قد حفظتها ثم سأله أن يأذن له في نظم الشعر، فقال له: لا أذن لك إلا أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها. فقال له: هذا أمر يصعب عليّ، فإني قد أتقنت حفظها. فقال له: لا أذن لك إلا أن تنساها. فذهب أبو نواس إلى بعض الأديرة، وخلا بنفسه، وأقام مدة حتى نسيها. ثم حضر فقال: قد نسيتهما حتى كأن لم أكن حفظتها قط. فقال له خلف: الآن انظم الشعر!"⁽³⁾ وهو عينُ الرأي الذي يدعو إليه درويش، فالشاعر الحقيقي هو الذي ينحت في الصخر، بغية الإتيان بشعرٍ ليس على مثالٍ سابقٍ، فلا يكون مقلداً أو مُجْتَرّاً للمستهلِك من القول.

(3) المرتكزات الشعرية:

إن الشعرية تعرف بأنها "المادة التي إذا أضيفت إلى الشعر جعلته شعراً"⁽⁴⁾. والناظر في شعر درويش يلحظ تشابهاً أو تقاطعاً بين بعض سمات الشعرية لدى درويش مع السمات التي حددها النقاد الأوائل ضمن نظرية عمود الشعر العربي، بيد أنه يحدد خصائص أخرى للشعرية يرى أن تحققها، يمنح النص شعرية حقيقية، وهي قطعاً

⁽¹⁾ سورة الرعد: الآية رقم (17).

⁽²⁾ درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج1، ص:370.

⁽³⁾ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ): أخبار أبي نواس، تحقيق: عمر أبو النصر، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1990م، ص50.

⁽⁴⁾ دوروف، تزفيتان: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص:17.

ليست خصائص شكلانية تتعلق بالوزن والصورة... إلخ. وفي قصيدة (أكثر وأقل) يورد درويش خصيشتين من خصائص الشعرية عنده، فيقول⁽¹⁾:

"أقولُ

ما أقول لك بلغة تفنن إلى كثافة العسل
وخفة الفراشة... في حضرة هذا الممكن المتمكن
من رفع المصادفة إلى مرتبة الإعجاز. فإلى
أين يأخذنا صمتك المضفي على الكلام الغامض
إغواء التورية؟"

ففي هذه القصيدة نرى أنه يحدد مرتكزين آخرين من مرتكزات الشعرية. أما أولهما فيتمثل في (كثافة العسل)، التي تمثل الانثيال الدلالي واللفظي، والصورة الشعرية المكثفة. وأما ثانيهما ففي (خفة الفراشة) التي تعني رشاقة اللفظ، وموسيقية الشعر، ورهافة التعبير.

ويذهب درويش في قصيدة (عدوى) إلى أن التأثير العميق الذي تحدثه القصيدة في نفس المتلقي بصورة تجعله مصاباً بالاندھاش والعدوى أقصد (عدوى الكتابة) يعدّ أبرز مرتكزات الشعرية أيضاً، ويرى درويش خلال هذه القصيدة أنه ليس صواباً جعل القوة والجمال خصيشتين من خواص الشعرية، فهما عنده ليسا معياراً للشعرية، يقول⁽²⁾:

"قال لي، بعدما كسر الكأس:

لاتصف الشعر، يا صاحبي، بالجميل
ولا بالقوي،

فليس هنالك شعر قويّ وشعر جميل

هنالك شعر يُصيّبُك، سرّاً

بعدوى الكتابة والانفصام،

وتقول:

أنا هو هذا وهذا، ولست أنا. وتطيل

التأمل في الكلمات"

أما الإبهام أو الغموض فهو أحد ركائز الشعرية التي تحقق للشعر شعريته "ذلك أن الوضوح العقيم ينتج عن الإيضاح الذي يكون مقتل القصيدة، إن التفسير الوحيد للشعر يقتل الشعر"⁽³⁾، ودرويش قطعاً ليس من مناصري الحداثة الشعرية، التي تركز إلى الغموض بوصفه قصداً يشد الشاعر نحوه رحاله، فالغموض الذي لا يخبئ خلفه معنى ذا بالٍ، وكأنه برقٌ خُلب، ليس في أعطافه ماء أو معنى، ليس مطلوباً أو مقصوداً في النص الشعري. وفي

(1) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:65.

(2) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:675.

(3) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، ص:221.

سياق ذلك يقول درويش في قصيدة (الخروج من ساحل المتوسط)⁽¹⁾:

لن تفهموني دون معجزة
لأن لغاتكم مفهومة
إن الوضوح جريمة
وغموض موتاكم هو الحق - الحقيقة
آه، لا تترك الأحجار إلا حين لا يتحرك الأحياء
فالتقوا على أسطورتني!

ويؤكد درويش في قصيدة أخرى أن الوضوح المفرط في الشعر يعد عيباً جسيماً في بنية القصيدة الشعرية،
يقول⁽²⁾:

"قصيدة لا عيب فيها سوى
إفراطها في الوضوح. تفننر السماء إلى
غيمة ولو عابرة لتوقظ الخيال من حذر
الأزرق"

ويرى درويش في قصيدته (يأتي ويذهب) أن الخيال أحد أهم مرتكزات الشعرية، يقول⁽³⁾:

"لا نلتقي أبداً
في وقتنا خلل
ولا يلوح من بعيد... لأتبعه
كأنه الشعر...
أو ما يترك الحجل
من الخيال، ويغويني لأرجعه"

وفي قول درويش هذا توازٍ مع الرأي النقدي الذي يجعل من الخيال أهم أبرز المقومات الشعرية، المميّزة
للشعر من غيره من الفنون الأدبية الأخرى "فعلى الخيال تقوم وظيفة خلق الصور، وإبراز الجمال في استعمال
الاستعارة والتشبيه، وعلى هذا فإن الخيال جوهر الأدب"⁽⁴⁾.

ويؤكد درويش في قصيدة (سماء صافية وحديقة خضراء) الرأي النقدي القديم القائل: (إن أعذب الشعر
أكذبه) فالشاعر عند درويش ليست مطالباً بقول الحقيقة، والالتزام بها، فالشعرية تمكن في التحرر من الواقع،
والخروج عنه، والتخليق في عوالم وممرحات الخيال الفسيحة، يقول درويش⁽⁵⁾:

(1) درويش، محمود: حصار لمدائح البحر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص158.

(2) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:744.

(3) المصدر السابق، ج1، ص:250.

(4) دهمان، أحمد علي: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منهجاً وتطبيقاً، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط2،
2000م، ص:145.

(5) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص:744.

"والقصيدة

محتاجة إلى ما يشبه الخلل الماكر لكي
نصدّق الشاعر حين يكذب ويكتب عن حيرة الروح
بين سماء صافية وحديقة
خضراء، فما حاجتنا للشعر إذا قال
الشاعر: إن السماء صافية. وإن
الحديقة خضراء؟"

ويذهب درويش في قصيدته (هي لا تحبك أنت) إلى أنّ المجاز، الذي يبني الشاعر على أسس منه قصيدته، هو كذلك أحد أبرز خصائص الشعرية⁽¹⁾:
"هي لا تحبك أنت"
يعجبها مجازك
أنت شاعرها
وهذا كل ما في الأمر
يُعجبها اندفاع النهر في الإيقاع
كن نهراً لتعجبها!
ويعجبها جماع البرق والأصوات
قافية..."

ففي هذه القصيدة يلتفت درويش إلى أهمية الإيقاع بوصفه خصيصة من خصائص الشعرية في العمل الأدبي.

(4) الحداثة الشعرية وقصيدة النثر:

يرى درويش الشاعر في قصيدة النثر أن الحداثة الشعرية يجب أن تتجلب لغمّة تتمازج بالاختلاف والانتلاف مع الشعر العربي القديم في آن واحد، "أجل التأسيس للغة الثالثة تكون أقدر على التعبير، وهو ما أسهم في توضيح المعنى الجديد للشعر"⁽²⁾ المعنى الذي يدأب درويش بالبحث عنه. يقول درويش في قصيدة (سوناتا)⁽³⁾:
"أحب من الشعر عَفْوِيَّةَ النثر والصورة الخافية
بلا قَمَرٍ للبلاغة: حين تسيرين حافيةً تتركُ القافية
جماع الكلام، وينكسرُ الوزْنُ في ذروة التجربة
قليل من الليل قربك يكفي لأخرج من بابلي
إلى جوهرِي - آخري. لا حديقة لي داخلي"

(1) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص: 241.

(2) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، ص: 160.

(3) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص: 49.

وَكُلُّكَ أَنْتِ. وما فاض منك (أنا) الحُرَّةُ الطَّيِّبَةُ⁽¹⁾.

ففي هذه القصيدة نجد أن الشاعر يقدم رأياً نقدياً في قصيدة النثر، بوصفها إحدى أبرز تجليات الحداثة الشعرية العربية، فيذهب إلى أن الشعرية يمكن أن تتحقق في قصيدة النثر، على الرغم مما تنماز به من العفوية (عفوية النثر) وغياب صورة البلاغة التقليدية (بلا قمر للبلاغة) وانعدام الوزن (ينكسر الوزن)؛ فالشعرية عنده - كما يبدو - شعرية اللفظ والصورة والتعبير، وليست غير ذلك.

وبناء على ما سبق؛ فإن هذا المقطع الشعري يفصح "عن افتتان الشاعر بتلقائية النثر التي ينتج عنها بدهاء، النفور من البلاغة الصارخة"⁽²⁾ والنثر هنا كما يبدو لي ليس النثر بوصفه جنساً أدبياً، بل بوصفه سلوكاً لغوياً ذا خصوصية بنائية وإيقاعية، سواءً في ذلك كان النثر نثراً شعرياً أو نثراً خالصاً .

وإنّ الرأي النقدي لمحمود درويش في قصيدة النثر، يتقاطع مع قولة سائرة لأبي حيان التوحيدي، جعلها درويش في فاتحة ديوانه (كزهر اللوز، أو أبعده)، في دلالة على وقوفه موقفاً متوازناً من قصيدة النثر، فمقولة التوحيدي تجيء بوصفها نصاً موازياً لنص درويش، إذ يقول التوحيدي: "وفي الجملة، أحسن الكلام ما رقّ لفظه، ولطف معناه، وتلاً لأ رونقه، وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع، ويمتتع مقصوده على الطبع"⁽³⁾.

إن أبا حيان يرى -والحال هذه- "أن أحسن الكلام أو أجمله لا يمكن تحصيله من الشعر خالصاً، ولا من النثر بمفرده، بل من مستوى آخر من الكتابة يبدو فيها الكلام وكأنه يندلع في مسافة تقع بين الشعر والنثر..."⁽⁴⁾.

(5) قضية اللفظ والمعنى:

دار حديث طويل في النقد العربي القديم حول جدلية اللفظ والمعنى، وقد انقسم المنشغلون بهذه الجدلية في منتهى الأمر إلى فريقين اثنين، ذهب كل فريقٍ منهما فرحاً بما لديه. أما أحدهما فيفضل اللفظ على المعنى. ويُعدُّ الجاحظ أبرز المناصرين للفظ على المعنى، إذ يقول: "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صياغة، وضرب من التصوير"⁽⁵⁾. وأما الآخر فيفضل المعنى على اللفظ، ويُعدُّ عبد القاهر الجرجاني أبرز القائلين به، إذ يقول: "إنّ الألفاظ إذا كانت أوعيةً للمعاني فإنها لا محالة تتبّع المعاني في مواقعها"⁽⁶⁾. وفي شعر درويش أصداً لهذه القضية النقدية، ويبدو أنّ محمود درويش ينتصر للمعنى على اللفظ في قصائده، وينتصر للفظ على المعنى في قصائد أخرى؛ فيرى أنّ لا بد من أن يهتمّ شاعر القصيدة الجمالية ببنائها

(1) العلاق، علي جعفر: من نص الأسطورة إلى أسطورة النص، دار فضاءات، عمان، الأردن، ط2، 2017م، ص:77.

(2) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ص:26.

(3) التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1945م، المجلد (2)، ص:145.

(4) العلاق، علي جعفر: من نص الأسطورة إلى أسطورة النص، ص:79.

(5) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط3،

1388هـ/1969م، ج3، ص:131.

(6) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة المدني، القاهرة وجدة، ط3، 1992م، ص:52.

اللفظي، مهملاً المعنى، في حين أن عليه في القصيدة النفعية أن يغلب المعنى على البنية اللفظية، ومن ذلك أنه يغلب اللفظ (البنى اللغوية) على المعاني في قصيدته (قل ما تشاء)⁽¹⁾:
 "قل ما تشاء. ضَعِ النقاطَ على الحروفِ.
 ضَعِ الحروفَ مع الحروفِ لتُوَلِّدَ الكلماتِ،
 غامضةً وواضحةً، وابتدئِ الكلامَ.
 ضَعِ الكلامَ على المجازِ. ضَعِ المجازَ على
 الخيالِ. ضَعِ الخيالَ على تَلْفُتِهِ البعيدِ.
 ضَعِ البعيدَ على البعيدِ... سَيُوَلِّدُ الإيقاعُ
 عندَ تَشَابُهِ الصُّورِ الغريبةِ من لقاءِ
 الواقعيِّ مع الخياليِّ المُشاكسِ/
 هل كَتَبْتَ قصيدةً؟
 كلا!

إذن، ماذا كتبت؟

كتبتُ درسًا جامعيًّا،

واعترزْتُ الشعرَ منذُ عرفْتُ

كيمياءَ القصيدة... واعتزلْتُ!"

إن اللفظ هو المقدم في العملية الشعرية إذا كانت الغاية من وراء الشعر غاية جمالية "لذلك أشار إلى المعنى بالاسم الموصول المبهم الواقع مفعولاً به دلالة على غموضه وتبعيته لفعل الكتابة (...)"⁽²⁾ والمعنى في قصيدة درويش (كم البعيد بعيداً) يحتاج إلى إعمال فكرٍ، وكثير تدقيق، وفي سياق ذلك يقول⁽³⁾:
 "كم البعيدُ بعيدٌ، كم هي السُّبُلُ؟
 نمشي ونمشي إلى المعنى ولا نَصِلُ"

وعليه فيمكن القول إن المعنى عند درويش مقدّم على اللفظ في الشعر ذي الوظيفة النفعية، في حين أن اللفظ هو المقدم في الشعر ذي الوظيفة الجمالية، ذلك أن قارئ الشعر بوصفه حقلاً من الورد، لا يهمله سوى رائحته الجميلة، أي بنيته الشكلية.

(6) الإيقاع:

يرى درويش أن الإيقاع هو العنصر المقدم على الوزن في الشعر، فيقول في قصيدته (يختارني الإيقاع)⁽⁴⁾:
 "يُخْتَارُنِي الإيقاعُ، يَشْرِقُ بي

(1) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج1، ص: 99-100.

(2) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، ص: 191.

(3) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج2، ص: 592.

(4) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج1، ص: 19.

أنا رَجَعُ الكمان، ولستُ عازفُهُ
أنا في حضرة الذكرى
صدى الأشياء تنطقُ بي
فأنطقُ..."

إنَّ الإيقاع هو البنية الكبرى التي تشتمل على الوزن والقافية والبنية الصوتية عند درويش، وهو جزء مهم في بنية القصيدة الشعرية "وإذا كان الوزن هو المقياس الميكانيكي الثابت فإن الإيقاع هو الإبداع الفني المعبر عن خلجات النفس"⁽¹⁾. والقافية والوزن يقيدان الشاعر وعلى الشاعر أن يتحرر منهما تحرراً مطلقاً على السبيل المجازي، ففي ديوان (حالة حصار) يقول⁽²⁾:
"عاطفتي هي ليلى الخُصُوصي...
ليلى الذي يتحرَّكُ بين الوسائد حُرّاً من الوزن والقافية!"

ويرى درويش في ديوانه ذاته أن القافية ليست سوى ذبابة زائدة على المائدة أي (النص الشعري)، يقول⁽³⁾:
"لم تكن هذه القافية ضرورية،
لا لضبط النغم ولا للاقتصاد الألم
إنها زائدة كذباب على المائدة"

أما بالنسبة إلى القافية فهي ليست ركناً أصيلاً في الشعر الجديد عند درويش "بل على العكس من ذلك، فهي تعمل على تقييد القراءة حينما تجبر المتلقي على التوقف عندها، حتى ولو استمرّ المعنى وامتد الإيقاع، فهي في نظر الشاعر لم تعد تضبط النغم بقدر ما أصبحت تعيقه..."⁽⁴⁾.
وعليه؛ فالشعر عند درويش إيقاع لا يتقيد بالوزن والقافية والعروض، بل سيل عرم من الموسيقى الداخلية الوافرة، التي تجعل من العروض والوزن والقافية قيوداً معينة للشاعر لا مقيدة له في سبيل أن يصعدَ بالشعر عاليًا في مدارج الإبداع والرقي.

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة بعد أن دارت رحاها إلى أن تجربة درويش النقدية في أتون خطابه الشعري تُمثّل - والحال هذه- تجربة فريدة ومنمازة، وتنبغي الإشارة إلى أن آراء درويش النقدية تتمحور في قضايا مركزية في الشعر، ومن ذلك: مفهوم الشعر، اللفظ والمعنى، والإيقاع، وقصيدة النثر... إلخ. وينبني مفهوم الشعر نقدياً عند درويش، على التقاطع المفصلي مع المكان واللغة وهُويّة الإنسان، والغموض الواضح، واللغة المقدسة.
والشاعر عند درويش ليس مُلزماً بقول الحقيقة، أو التأريخ للمجتمعات والدول، وإنما تختصّ وظيفته بقول الشّعر، فالشاعر ليس شاعراً سوى في ظلال الكتابة الشعرية. ويتّضح ذلك من خلال عنوان قصيدته (لا تكتب

(1) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، ص195.

(2) درويش، محمود: الأعمال الجديدة الكاملة، ج1، ص233.

(3) المصدر السابق، ج1، ص199.

(4) تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، ص201.

التاريخ شعراً) التي يعبر من خلالها درويش عن رأيه هذا.

ويرى درويش أن الخيال، والنسج لا على مثال سابق، والموسيقى العالية (الإيقاع)، والإبهام (لا التعقيد)، وكثافة الصورة الشعرية، والانتقال الدلالي واللفظي، وإثارة حساسية المتلقي و(عدواه) تعدّ أبرز مرتكزات الشعرية. ودرويش يرى أن ليس من بد من تقديم المعنى إذا كانت وظيفة الشعر نفعية، أما إذا كانت وظيفته جمالية فيجب عندها أن يقدم اللفظ، تساوقاً مع الهدف الذي يرمي الشاعر إلى تحقيقه، وهو تحقيق اللذة. أما بالنسبة إلى الإيقاع الشعري في القصيدة فإنه يرى أنه أوسع وأشمل من الوزن العروضي، وأن الذي ينبغي الاهتمام به هو الإيقاع لا العروض. ويرى درويش أنّ الشعرية يمكن أن تتحقق في قصيدة النثر، فالشعرية هي شعرية اللفظ والصورة والتعبير وليست غير ذلك. أما بخصوص مسألة الإيقاع فإنه يرى أن الإيقاع أعم وأشمل وأهم من العروض والوزن، فليس الوزن والقافية سوى ذبابة زائدة على مائدة النصّ الشعري.

وإن شاعرنا عبر عن آرائه النقدية بطريقتين. أما أولهما فكانت أن يورد رأيه النقدي في قصيدة عامة، وهي الصورة الأكثر شيوعاً في شعره. وأما ثانيهما أن يورد رأيه النقدي في قصيدة مخصصة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- تدوروف، ترفيتان: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م.
- تروش، حسين: مفهوم الشعر وتجلياته الموضوعاتية عند محمود درويش، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2016م.
- التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1945م، المجلد (2).
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي ببيروت، لبنان، ط3، 1388هـ/1969م، ج3.
- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة المدني، القاهرة وجدة، ط3، 1992م.
- حداد، علي: الخطاب الآخر (مقاربة لأبجدية الشاعر الناقد)، منشورات الاتحاد العام للكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.
- درويش، محمود:
- الأعمال الجديدة الكاملة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، بريطانيا، ط1، 2009م.
- حصار لمداخل البحر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.
- دهمان، أحمد علي: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منهجاً وتطبيقاً، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط2، 2000م.
- الدوسري، دوش بنت فلاح: قيمة الشعر ودور الشاعر في رؤية محمود درويش الشعرية: دراسة موضوعاتية،

- المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج40، ع160، 2022م.
- الزيودي، حبيب: الأعمال الشعرية الكاملة (راهب العالوك)، قدّم لها واعتنى بنشرها: عمر القيّام (دكتور)، عمان، الأردن، 2015م.
 - أبو صفية، جاسر خليل: ابن الرومي ناقدًا، منشورات وزارة الثقافة الأردنية ودار فضاءات، عمان، الأردن، ط2، 2013م.
 - عبيد الله، محمد: بلاغة المنفى: تجربة في قراءة القصيدة الدرويشية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2021م.
 - العشي، عبد الله: نظرية الشعر عند الشعراء المعاصرين، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1992م.
 - العلاق، علي جعفر: من نص الأسطورة إلى أسطورة النص، دار فضاءات، عمان، الأردن، ط2، 2017م.
 - علاق، فاتح: مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2005م.
 - شبانة، ناصر يوسف: حقيقة الشاعر، مجلة أفكار الأردنية، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، الأردن، العدد (325)، 2016م.
 - الفتياي، سهيل عبد اللطيف:
 - محمود درويش: غواية النقد، دار ابن الجوزري، عمان، الأردن، ط1، 2022.
 - هوية الإبداع الشعري عند محمود درويش، بين الإلهام والمهارة، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، الأردن، المجلد (44)، العدد (1)، 2017م.
 - أبو محارب، عامر، التجريب النقدي عند الناقد محمد عبيد الله في (بلاغة المنفى)، صحيفة الدستور، 19 أيار 2023.
 - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ): أخبار أبي نواس، تحقيق: عمر أبو النصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1990م.
 - ويليك، رينيه: مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، 1987م.

المواقع الإلكترونية

- بشارة، غدير: حوار مع الشاعر محمود درويش، رام الله، فلسطين، راديو ألف، 2010م. انظر الرابط الآتي:
1396http://mahmouddarwish.ps/article/